المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 - Electronic ISSN 2790-1254
العدد 18A2 2025 تشرين1
No. 18A2 2025 October

دلالة اللونين الأبيض والأسود في القرآن الكريم وأثرهما النفسي دراسة تحليلية

مقال

م. م. زهراء نجم عبد
جامعة بابل/ كلية التربية الأساسية/ قسم اللغة العربية
bas794.zahraa.najim@uobabylon.edu.iq
م. م. أسيل عدنان نوري
جامعة بابل/ كلية التربية الأساسية/ قسم اللغة العربية
bas399.aseel.adnan@uobabylon.edu.iq

ملخص

لا شكَ إنَّ القرآن الكريم هو الكتاب المُقدَّس الذي فاق بإعجازه كلَّ الكُتب والمؤلفات، فهو يمثلُ بحرًا زاخرًا بالكلمات المؤتلفة بنظامٍ محكمٍ، احتارتْ به العقول، وعجزتْ عن الإحاطة به أو الإتيان بمثلهِ، وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾ [الكهف: ١٠٩]. وهذا ما دفع الباحثين إلى دراسة اللونين الأبيض والأسود، باعتبارهما أحد الوسائل التعبيرية التي وردت في القران الكريم، فضلاً عن ألوان أخرى تمَّ ذكرها فيه، والتي تحملُ معانٍ كثيرة ودلالات عميقة ومؤثرة بشكلٍ واضح على الإنسان. وقد استخدمها القرآن الكريم بأسلوب بليغ يعكسُ كلَّ ما توحي به بدقة عالية جدًا. ولاسيما اللون الأبيض واللون الأسود؛ فهما يشكّلان ثنائية متقابلة تُعبّرُ عن معانٍ متباينة في النفس البشرية وتنعكس مظاهرها على الواقع. فكان لابدَّ من معرفة الآيات التي قد تضمَّنت هذين اللونين، والبحث فيها من النَّاحية اللغوية أولاً، والنَّاحية الدلالية، ومدى تأثيرها على النفس وعلى الواقع المجتمعي ثانيًا.

كلمات مفتاحية : اللون الأبيض ، الأسود ، القرآن الكريم

The Significance of the Colors White and Black in the Holy Quran and Their Psychological Impact: An Analytical Study

Zahraa Najm Abdul
University of Babylon/College of Basic Education/Department of Arabic Language
bas794.zahraa.najim@uobabylon.edu.iq
A.L. Aseel Adnan Nouri
University of Babylon/College of Basic Education/Department of Arabic Language
bas399.aseel.adnan@uobabylon.edu.iq

Abstract

There is no doubt that the Holy Quran is the sacred book whose miraculous nature surpasses all other books and writings. It represents a vast ocean of words arranged in a precise and intricate system, leaving minds bewildered and unable to fully comprehend it or produce anything like it. This is stated in the Almighty's words: {Say, "If the sea were ink for [writing] the words of my Lord, the sea would be exhausted before the words of my Lord were exhausted, even if We brought the like of it as a supplement."} [Al-Kahf: 109]. This prompted researchers to study the colors white and black, as they are among the expressive means mentioned in the Holy Quran, in addition to other colors mentioned within it, which carry numerous meanings and profound connotations that clearly affect humankind. The Holy Quran used them in an eloquent style that

reflects everything they suggest with great precision. This is especially true of the colors white and black, as they form a contrasting duality that expresses different meanings within the human psyche, and their manifestations are reflected in reality. Therefore, it was necessary to identify the verses that included these two colors and to examine them linguistically first, and semantically, and to assess their impact on the psyche and on social reality second.

Keywords: White, Black, Holy Quran

منهجية البحث

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، القائم على استقصاء وجمع الآيات التي ورد فيها اللونان (الأبيض والأسود) وقد انصبَّ التحليل على معرفة الجذور اللغوية للألفاظ، وكيفية اشتقاقها، وبيان معانيها وما تضمَّنتهُ من دلالات مرتبطة بالشعور من جهة، والحقيقة من جهة أخرى، وقد التزمت الدراسة بالاعتدال والموضوعية في تحليل النَّص القرآني مع ضرورة الموازنة ما بين رأي الأغلبية في توجيه التفسير، والراشي الشخصي أيضا، وما سيعكس ذلك التحليل من تأثيرات على المجتمع.

أولاً: دلالة اللون الأبيض من الناحية اللغوية

(أَبْيَضٌ) اسمٌ مفرد مذكَّر مُشتقٌّ (صفة مُشبَّهة) من الفعل الثلاثي (بَيِضَ- يَبْيَضُ) مزيد بحرف الهمزة في أوله ووزنه (أَفْعَل) ومؤنثه (بَيْضَاء) ووزنها (فَعْلاء)[1].

ثانيًا: دلالة اللون الأبيض في القرآن الكريم

يرتبطُ اللون الأبيض بالصفاء والنقاء والطهارة بشكل عام، وعلى هذا جعلَ الله (تعالى) فجر الأيام يبدأ بهذا اللون المبارك، وقد ورد ذلك بقوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ [البقرة: ١٨٧]. ولهذا اللون تأثيرات نفسية تنعكس من خلالها الطمأنينة والسكينة في النفس البشرية بشكل خاص، فقد جاء وصف وجوه المؤمنين يوم القيامة بالبياض، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾ [آل عمران: ١٠٦] و ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [آ عمران: ١٠٧] في إشارة إلى البشرى والنجاة التي تصوّر حالة المؤمنين يوم الجزاء.

كما يدلُّ اللون الأبيض على المعجزات الإلهية، مثل يد نبي الله موسى (عليه السلام) حين أخرجها بيضاء سالمة من غير سوء أو أذى، وهذا دليلٌ واضحٌ على عظمة القدرة الإلهية والناتج عنها تغيّر الحالة من وضع سيئ إلى وضع أفضل[2]، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الشعراء: ٣٣],

و ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾ [طه: ٢٢] كذلك قوله تعالى: ﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ﴾ [النمل: ١٢], و ﴿ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ﴾ [القصص: ٣٢].

كما يبعث اللون الأبيض في النفس الشعور بالمتعة والسعادة والأمل، ويرمز إلى البداية الجديدة والهداية، مما يجعله مرتبطًا بالجانب الروحي الذي يمنح السلام الداخلي في النفس البشرية. وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [الصافات:٤٦], إذ يصف الحالة التي سيكون عليها المؤمنين وهم بالجنان يستشعرون النعيم ويتذوقون حلاوة الطيبات، مع قاصرات الطرف زوجاتهم الحسناوات اللواتي وصفهن الله (عزَّ وجل) بقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ﴾ [الصافات: ٤٩].

وقد انعكس هذا الأمر في واقع الحياة بشكلٍ واسعٍ حتى اصبح ارتداء الملابس البيضاء كطقس من الطقوس الخاصة بالمناسبات ولا سيما المناسبات الدينية كموسم الحج، والمناسبات السعيدة كالأعراس. ولكن قد يخرجُ هذا اللون من دلالتهِ الغالبة على البهجة والفرح إلى الهمّ والحزن، مثلما ورد ذلك في قوله تعالى:

(1) ينظر: لسان العرب، لجمال الدين بن منظور الأنصاري، ج٧/ ١٢٨، وشذا العرف في فن الصرف لأحمد بن محمد الحملاوي، ص ١٣٧.

(2) ينظر: الإعجاز البياني للقران ومسائل ابن الأزرق، لبنت الشاطي، ص ٢٩١.

﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾ [يوسف: ٨٤]. فضلا عن ذلك ما نراه في بعض البلدان كالهند وغيرهم، إنَّهم يرتدون الملابس البيضاء في حالات الوفاة ومواسم الحداد.

ثالثًا: دلالة اللون الأسود من الناحية اللغوية

(أَسْودُ) اسم مفرد مذكر مُشتقٌّ (صفة مُشبَّهة) من الفعل الثُّلاثي (سَودَ - يَسْوَدُ) مزيد بحرف الهمزة في أوله ووزنه (أَفْعَل) ومؤنثه (سَوْداء) ووزنها (فَعْلاء)[1].

رابعًا: دلالة اللون الأسود في القرآن الكريم

غالبًا ما يرتبطُ اللون الأسود في مواضع الحزن بشكلٍ عام، وحالات الضيق الضجر وعدم الرضا التي يمرُّ بها الإنسان وإن كانت وقتية، وقد ورد ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ﴾ [النحل: ٥٨], و ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الزخرف: ١٧]. وقد أخذَ هذا اللون في القرآن الكريم معنى أبعد من ذلك، فقد أشار إلى معنى الكفر والشرك الذي كان عليه الكافرون، فهو يُصوِّر شكل الكافر من جهة وسوء حالته النفسية المتمثلة بالسواد من جهة أُخرى[2].

وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦], و ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

ولا تختلف دلالة المعنى الذي جاء به القرآن الكريم عن معناه السائد في الواقع المجتمعي حاليًا[3]. حيث يرتبطُ اللونُ الأسود بمشاعر الحزن والخوف والظلام والوحدة، ولا سيما في حالات الفقد والموت والحداد. وقد يشير هذا اللون إلى معنى آخر يختلفُ كثيرًا عن معناه الغالب، وهو الفخامة، حتى أطلق عليه في بعض المجتمعات مصطلح (ملك الألوان) وأصبح ارتداؤه يمثلُ إنموذجًا للتميز والأناقة في مختلف المحافل والمناسبات، ولعلَّ هذا المعنى يكون متوافقًا مع ما جاء في القران الكريم في بيان ألوان الجبال ومن المعروف إنَّ الجبال تمثل أوتاد الأرض وتتسم بالارتفاع والفخامة، بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ﴾ [فاطر: ٢٧].

خامسًا: الأثر النفسي للونين الأبيض والأسود

لقد بيَّنا من خلال الآيات التي تتضمَّن هذين اللونين، ودلالة كلّ منهما، حسب سياق النص القرآني، إنَّ لهما تأثيرًا كبيرًا على النفس، فالإحساس باللون الأبيض صار بمثابة المأوى الآمن الذي يستودع فيه الإنسان كل ما يتعلق به، من أفكار وطموحات، حيثُ يرى فيه قدرًا من التفاؤل يساعده على الاستمرار، بالرغم من أنَّه يدرك جيدًا أنَّ هذا اللون مهما كان يحمل من طاقة ايجابية تعكسُ بداخله النور والسلام، يبقى هناك شيء يحتاج إلى رؤيا أبعد مما يعكسه ذلك اللون، وهو التحوّل الحسي للنفس، من ذلك اللون الذي يعكس فيها الشعور بالظلام والوحدة، والذي يتطلب منها التحدي ومواجهة الحقيقة التي غالبًا ما تأمرها بالسوء وترمي بها إلى الهاوية، كي تنتقل بعد ذلك إلى عالم تجتمعُ فيه سبل الخير، بعيدًا عن الشَّر وأهله، وهي تمثلُ رحلة الخروج والانتقال من الظلمات إلى النور[4]. وهذا ما أشار إليه الله (عزَّ وجل) في محكم كتابه العزيز ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة: ١٦].

سادسًا: التَّضاد ما بين اللونين الأبيض والأسود وتأثيره على المجتمع

يُبرز التَّضاد ما بين اللونين الأبيض والأسود في القرآن الكريم قضية التنازع والصراع ما بين النور والظلام، والخير والشر، والكفر والإيمان، والسعادة والشقاء[5]. ولعلَّ هذا التَّضاد لم يكن حسيًا أو مجرد

(1) ينظر: لسان العرب، ج٢٢٤/٣.

(2) ينظر: البرهان في علوم القران، لبدر الدين الزركشي، ج٧١/٣.

(3) ينظر: معاني القران، لأبي جعفر النحاس، ج٤٥٧/١.

(4) ينظر: الألوان والاستجابات البشرية، لفيبر هنري، ترجمة صفية مختار، ص٢٥و ٢٧.

(5) ينظر: العجاب في بيان الأسباب، لابن حجر العسقلاني، ج٤٤٧/١ (بتصرّف).

سوء عاقبة أفعال أقترفها الإنسان وسيحاسب عليها يوم الجزاء كما اسلفنا سابقًا؛ بل هو مشهدٌ يحكي حقيقة ذلك الصراع القائم ولا يزال ما بين البيض والسود في مختلف مجتمعات العالم، ولا سيما قارة أوروبا التي لَعِب فيها (أصحاب البشرة البيضاء) دور الظالم واستبعدوا اشقاءهم (أصحاب البشرة السوداء) وحرمانهم من حرية التأقلم في المجتمع، والتَّمتع بحياة حرَّة كريمة بلا ظلم ولا تنمّر ولا اضطهاد.

فمن الذي أباحَ لهم فعل ذلك!؟ والله (عزَّ وجل) من خلقنا في أحسن تقويم، ولم ينظر إلينا بألواننا، وقد ورد عن رسول الله (ﷺ) إنَّه قال: "إنَّ الله لا ينظرُ إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظرُ إلى قلوبكم وأعمالكم" فالأبيض بقلبه، والأسود كذلك.

الخاتمة

يتضح لنا أنَّ استخدام اللونين الأبيض والأسود في القرآن الكريم ليس وصفًا حسيًا فحسب؛ بل هو توظيفٌ بلاغي دقيق يحمل أبعادًا نفسية ودلالية عميقة، فالأبيض يرمز إلى النقاء والهداية، وقد ورد في اثنتي عشرة آية ضمن سورة مختلفة من القران الكريم، بينما يشير الأسود إلى الضلال والحزن، مما يعكس قدرة القرآن على التأثير في النفس البشرية بأسلوب يجمع بين الجمال البياني والعمق المعنوي، وقد ورد ضمن ست آيات مختلفة من القرآن الكريم، ولكلِّ لون دلالة غالبة وأخرى جزئية تحمل العكس.

فضلاً عن التَّضاد الذي يمثله ذلك الصراع ما بين هذين اللونين على أرض الواقع، فالأبيض يدخل في كل شيء، وكذلك الأسود، وما نستشفه من هذه الدراسة لابدَّ من كلِّ منّا أن يسعى إلى الاقتران باللون الأبيض بالنوايا، لا بلون البشرة ولا بالرداء، وليكن سلامك هو سراجكَ الأبيض الذي ينير ظلامك الداخلي.

التوصيات

لابدَّ من كلِّ شخصٍ ولا سيما الباحثين والدارسين في مجال اللغة العربية، الاتجاه نحو كتاب الله (تعالى) وتدبر آياته، ومعرفة أصولها اللغوية واشتقاقاتها الصَّرفية، وما تشير إليه من معانٍ ظاهرية أو خفية، والوقوف على دلالاتها النفسية، وصورها البلاغية التي تنعكس وبشكل واضح على أفراد المجتمع في كلِّ زمان ومكان، فمن الضروري الاطلاع على كتب تفسير القرآن الكريم، وكتب بلاغة وإعجاز القرآن الكريم، فضلا عن مؤلفات النَّحو الصَّرف وغيرها من المؤلفات التي تساعد على إتمام الدراسة بأدق التفاصيل وأعمق المعاني.

المصادر والمراجع

*** القرآن الكريم**

١. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: لعائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (ت ١٤١٩هـ), الناشر: دار المعارف، ط٣.
٢. الألوان والاستجابات البشرية، لفيبر فيرين، ترجمة صفية مختار، الناشر: هنداوي للطباعة والنشر، ٢٠١٧م.
٣. البرهان في علوم القرآن: لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ), المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت ١٤٠١هـ] الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
٤. شذا العرف في فن الصرف: لأحمد بن محمد الحملاوي (ت ١٣٥١هـ), المحقق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله, الناشر: مكتبة الرشد الرياض.
٥. العجاب في بيان الأسباب: لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ), المحقق: عبد الحكيم محمد الأنيس, الناشر: دار ابن الجوزي.
٦. لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (ت ٧١١هـ) الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر - بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
٧. معاني القرآن: لأبي جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت ٣٣٨هـ), المحقق: محمد علي الصابوني, الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة ط١، ١٤٠٩هـ.